



فتح العرب لأسبانيا

١ ■ دوافع الفتح ومهداته :

لا يمكن الحديث عن فتح العرب لأسبانيا بمعزل عن بقية حروب التحرير التي خاضها العرب المسلمون في سبيل اعلاء كلمة الله ، ونقل رسالة السماء الى الشعوب المضطهدة التي كانت ترزخ تحت نير القوى الاجنبية كالفرس والبيزنطيين . فلقد كان للعرب الذين وحدهم الاسلام غاية نبيلة في الفتوح تمثلت اولا بتحرير اخوانهم العرب أينما وجدوا ، وثانياً : بتحرير الشعوب الاخرى من الجهل والوثنية والتبليط الأجنبي ، ثم بنشر قي ومثل المحاضرة الانسانية التي انارت الدرب لهذه الشعوب ، وساعدت على امتزاج الثقافات ، والتجارب ، والخبرات ، خدمة للبشرية جمعاء . ولقد نجح العرب في شمال افريقيا ■ كما نجحوا في غيرها من الاماكن ■ في كسب سكان البلاد الأصليين ، أي البربر ، الى جانبهم ، ولو أن ذلك تأخر لفترة من الزمن بسبب تواجد القوى الاجنبية المتمثلة بالبيزنطيين الذين كانت تربطهم علاقات مع بعض البربر الموالين لهم والذين قاوموا الفتح العربي الى حين . ولكن عندما ادرك البربر جوهر الرسالة السامية التي يحملها العرب ، وانهم لم يأتوا من أجل مغنم أو كسب مادي ، تعاونوا معهم وأمتزجوا بهم ، ووحد الاسلام بين الاثنين ، فأصبحوا قوة كبيرة في المنطقة . واعتمد العرب اعتياداً كبيراً على البربر ، لا سيما في عهد الوالي موسى بن نصير، حيث عهد الى زعماء من البربر بقيادة الجيوش الاسلامية التي استمرت تؤدي رسالتها في استكمال تحرير شمال افريقيا . وبفضل هذا التعاون الفعال استطاع العرب أن يحققوا فتح اسبانيا .

في بداية العقد الاخير من القرن الاول الهجري (في حدود سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) عهد القائد العربي موسى بن نصير الى طارق بن زياد بتولي قيادة البربر المسلمين الذين انتظموا في صفوف الجند العربي في منطقة المغرب الاقصى ، فأخذ مدينة طنجة مقراً له . ولقد كان حماس هؤلاء البربر الى الجهاد ونشر مبادئ الاسلام التي جاء بها العرب كبيراً . ونظراً لطبيعة المنطقة الجغرافية ، فلم يكن امام طارق وجنده سوى التوجه بأنظارهم الى شبه الجزيرة الأيبيرية ، ولا سيما أن مناطق الجنوب كانت صحراوية لا تشجع على التجارة اليها أو التوغل فيها . يضاف الى ذلك ، أن البربر كانوا على اتصال دائم مع السواحل الاسبانية لقربها ، وكانوا ايضاً على علم تام ومعرفة اكيدة بمدى خصب شبه الجزيرة وغناها ، وعن خطورة مشاكلها الاجتماعية والسياسية ، التي ذكرناها انفاً ، وضعف دولة القوط الغربيين بصورة عامة . ولقد شجعت هذه العوامل العرب والمسلمين على التفكير بفتح اسبانيا ، وضمها الى حظيرة المناطق التي تم تحريرها في المشرق العربي وشمال افريقيا . أما ما يذكره بعض المستشرقين المغرضين ، وما يروجه بعض الكتاب من التلميح الى أن الدوافع المادية ، والغنائم ، وحب التوسع هي التي دفعت بالعرب الى الفتوحات ، فأمر لا يؤيده الواقع .^(١) فلم يكن هدف العرب الكسب المادي ، بل كانت لهم غاية نبيلة أهم من ذلك بكثير ، وأبعد تأثيراً ، ألا وهي نقل مبادئ وقيم السماء السمحة الى البلاد المفتوحة ، والجهاد في سبيل الله من أجل تحريرها . أما الغنائم والمكاسب ، فهي تحصيل حاصل ، ونتيجة طبيعية من نتائج الحروب التي كانت وما تزال تقوم بين الامم ، فالغالب لا بد أن يستولي على مخلفات المغلوب ، ولو أن موقف العرب من هذا افضل بكثير من مواقف غيرهم من الشعوب ، نتيجة لنظرتهم الانسانية السامية .

لقد تطرقت المصادر التاريخية العربية الى الاسباب التي أدت الى الفتح العربي الاسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية ، ولكنهم يرجعون السبب الرئيس الى وازع الانتقام الشخصي ، ويسوقون على ذلك قصة اسطورية ملخصها أن الكونت يوليان ، أو جوليان Julian حاكم مدينة سبته قد شجع العرب على الفتح انتقاماً لنفسه من لذريق ملك اسبانيا الذي اعتدى على شرف ابنته . وتروي القصة أنه كانت لجوليان ابنة جميلة ، أرسلها جرياً على عادة الاشراف في ذلك الوقت الى بلاط طليطلة لتتعلم وتتشف مع بنات الملك . وقد رآها لذريق وسحر بحبالها ، ثم حاول

أن ينال منها ، ولكنها قاومتها ورفضت ، فلجأ الى القوة واعتدى على شرفها برغم ارادتها . وعندما كتبت الى ابائها بالحدث أسرع بالسفر الى طليطلة وعاد بأبنته الى سبته ، وهو يضرر الشر والانتقام . وقد دفعه حقه هذا الى التوجه الى موسى ابن نصير وحته على فتح اسبانيا .^(٢) وتذكر روايات أخرى أنه سار الى طارق بن زياد ، حاكم مدينة طنجة ، وأعلمه برغبته في الانتقام واستعداده لمساعدة العرب في حرب القوط الغربيين .^(٣)

ولا نجد هذه القصة في المصادر الاسبانية المعاصرة للحدث ، ولكن بمرور الزمن انتقلت هذه القصة الى القصص الاسباني والاغاني الشعبية الاسبانية التي تعرف باسم Romancero . ثم اختلطت هذه الروايات بالتاريخ الاسباني كما لو أنها كانت حقيقة واقعة .^(٤) ويختلف المؤرخون المحدثون في هذه القصة ، فمنهم من يرى انها صحيحة ، ومنهم من يرى انها من اختراع القصص .^(٥) وعلى أية حال ، فنحن لا نستطيع الاعتماد عليها كثيراً في تعليل تعاون جوليان مع العرب ، نظراً للظروف السياسية التي كانت تحيط بسبته والتي دفعته أخيراً الى الوقوف مع العرب في عملية الفتح .

وفي الحقيقة تتضارب الآراء بشأن شخصية جوليان حاكم سبته فهناك من يرى أنه قوطي الاصل ، وهناك من يرى أنه بيزنطي ، أو بربري من قبيلة غمارة ، ولكن معظم الروايات تتفق على أنه كان يحكم سبته وما يجاورها في الوقت الذي وصل فيه العرب الى الطرف الغربي الاقصى من شمال افريقيا . ومن المرجح انه كان الحاكم البيزنطي لأقليم موريطانيا الطنجية Mauretania Tingitania الذي كان تابعاً للإمبراطورية البيزنطية ، ولكنه بعد تقدم العرب في شمال افريقيا انقطعت به الاسباب عن بيزنطة ، فأصبح مستقلاً في هذه الناحية ، واضطر للاتصال بالقوط في عهد الملك غيطشة ، وقام بين الاثنين تعاون قوامه إرسال المؤن والامدادات من اسبانيا الى جوليان . ويبدو أن موت غيطشة واستيلاء لذريق على العرش قد وضع حداً لهذه العلاقات الطيبة لا سيما أن جوليان كان من اصدقاء غيطشة . ولهذا فلم

يكن امام جوليان الا الرضوخ للعرب والتعاون معهم ، لا سيما أنه رأى أن الامر
نسر لصالح العرب والمستقبل يشير بتفوقهم على القوى الاخرى في المنطقة . وقد
أخفق موسى بن نصير في أن يسيطر على سبتة بالقوة بسبب حصانة اسوارها .
ومقاومة جنود جوليان ، فتم عقد الصلح بين الطرفين . وبموجب هذا الصلح ظل
جوليان حاكماً على سبتة مقابل اعترافه بالسيادة العربية ، ورجع موسى الى
الفيروان . (١)

وتذكر الحوليات اللاتينية رواية اخرى مفادها أن اولاد غيطشة هم الذين
اتصلوا بالعرب ودعوهم الى فتح اسبانيا ومساعدتهم في اعادة ملكهم المفقود . وان
الفتح العربي ، ونجاحه كان نتيجة لهذا الاتصال . (٧) وتشير بعض المصادر العربية
ايضاً الى مباحثات جرت في طنجة قبيل الفتح بين طارق بن زياد وأحد اولاد
غيطشة . (٨) بينما يقول آخرون أن هذه المباحثات حدثت قبيل بدء المعركة
الفاصلة بين طارق بن زياد وجيش القوط بوقت قصير ، وذلك عندما اصبح طارق
فعالاً في اسبانيا ؛ فعرض ابناء غيطشة ، أن يتخلوا عن لذريق ، ويؤيدوا طارقاً
بجنودهم شريطة أن يضمن لهم كل ممتلكات والدهم ، والتي تبلغ ثلاثة آلاف ضيقة ،
وهي التي سميت فيما بعد بصفايا الملك ، (٩) وذلك بعد أن يخضع اسبانيا جميعها .
ولا تعرض المصادر العربية الاخرى لذكر أية مباحثات بين طارق بن زياد وأولاد
غيطشة ، بل كل ما في الامر أن هؤلاء الاولاد وبعض نبلاء القوط قرروا التخلي
عن لذريق في ساحة المعركة لأنهم اعتقدوا خطأ بأن العرب لا ينوون الاستقرار في
البلاد ، بل أنهم جاؤوا فقط من أجل الغنائم ، وأنهم سيعودون بعد اندحار
لذريق ، ويرجع العرش الى اسرة غيطشة . (١٠) وبطبيعة الحال ، فإن رأي هؤلاء
المؤرخين اقرب الى الصواب ، وينسجم مع طبيعة الاحداث ، فضلاً عن أنه يعارض
فكرة نجاح الفتح بمساعدة قوى من داخل اسبانيا ، الامر الذي يروجه اعداء

العرب للتقليل من شأنهم وقوتهم ، فيبالغون في دور أسيرة غيطشة في مساعدة العرب ، وكذلك في دور اليهود ، كما سنرى فيما بعد .^(١١)

٥ وإذا ما سلمنا بأن دور أسيرة غيطشة وانصارها قد اقتصر على الوقوف الى جانب العرب بعد عبورهم فعلاً الى اسبانيا ، فإن دور الكونت جولييان يبقى امراً لا يمكن انكاره بسبب اجماع الروايات ، على وجوده وموقفه من الفتح . ولكن ما هي مصلحة جولييان من فتح العرب لاسبانيا ، لا سيما أننا استبعدنا دافع الانتقام الشخصي المتمثل برواية إبنته في بلاط طليطلة ؟ لقد سبقت الإشارة الى العلاقات الطيبة بين جولييان والملك غيطشة ، والى المساعدات التي كان يتلقاها الأول من اسبانيا . ولكن بوفاة غيطشة ومجيء لذريق ، توقفت هذه المساعدات نتيجة لأنشغال الأخير بمشاكله الداخلية العصبية . وقد أستاذ جولييان من هذا الموقف ، وشعر بأهمية التعاون مع العرب وبشكل خاص في العبور الى اسبانيا ، لأنه أدرك قوة العرب ومستقبل سيادتهم على المنطقة ، هذا بالإضافة الى أنه كان من اصدقاء الملك غيطشة ، وبالتالي فهو لم يرضَ عن استيلاء لذريق على عرش أسبانيا بدلاً من ورثة غيطشة . ولهذا فقد بدأ اتصاله بطارق بن زياد لأنه كان قريباً منه في طنجة ، أو ربما يكون طارق نفسه هو الذي اتصل به واطلع على رأيه في مسألة العبور الى اسبانيا ، لا سيما أننا نعلم أن دوافع العرب والمسلمين ، والتي ذكرناها في اول الفصل ، كانت قوية للفتح والتحرير ، فلم يكونوا بحاجة لمن يحثهم على هذا الواجب المقدس ، بل هم الذين اتخذوا بادرة الفتح بقيادة قائدهم الشجاع طارق ابن زياد .

وتذكر بعض المصادر أن موسى بن نصير هو الذي اتخذ قرار الفتح ، وهم يشيرون ايضاً الى مراسلات تمت بهذا الشأن مع الخليفة في دمشق .^(١٢) ولكن بعد المسافات بين طنجة والقيروان ودمشق تدعوا المرء الى التحفظ في قبول هذه الرواية ، وبخاصة أن العديد من المؤرخين الآخرين يشيرون صراحة الى أن عبور

طارق الى اسبانيا كان دون معرفة موسى بن نصير (١٣) وبطبيعة الحال ، فإن هذه المسألة ليست جوهرية ، لان هدف كل من القائدين كان حتماً خدمة المبادئ الانسانية التي حملها العرب ، وتوصيلها الى شعوب الارض الاخرى ، وبالتالي ، فإن النتيجة واحدة ، وهي فتح هذا الجزء من العالم وتحريره وليس أدل على هذا من مسارعة موسى بن نصير ، حين سماعه بأنباء الفتح ، الى نجدة قائده طارق ، والعمل على استكمال الفتح الذي تم اخيراً بالتعاون الفعال والمثمر بين القائدين .

ب - خطة الفتح وحوادثه في زمن طارق بن زياد :

لم يكن فتح العرب لأسبانيا مغامرة حربية ارتجالية بل كان فتحاً منظماً مدروساً حسب خطة ذكية وضعها القائد طارق بن زياد . فعلى الرغم من معرفته بالوضع المتردي الذي كانت عليه اسبانيا ، لم يغامر بأرواح جنوده دون اتخاذ الاحتياطات اللازمة والقيام بغارة استكشافية على جنوب اسبانيا لجس النبض ومعرفة مدى مقاومة الاعداء في الجانب الآخر . وقد عهد بقيادة هذه الحملة الاستطلاعية الى قائد يدعى ابو زرعة طريف بن مالك المعافري ، الذي عبر الى الاندلس في رمضان سنة ٩١ هـ / آب - ايلول ٧١٠ م (١٤) وكانت قوة طريف الاستطلاعية تتألف من أربعمئة راجل ومئة فارس ، أبحر هؤلاء على متن اربعة مراكب هيئت من قبل الكونت جوليان ، ونزلت على جزيرة تسمى بالوماس (Las Palomas) والتي تقع على الشاطئ الاسباني في موضع أصبح يعرف حتى اليوم بأسم طريف (Tarifa) . ولقد تكلفت جهود طريف بنجاح باهر ، في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الأيبيرية ، وقام بعدة حملات موفقة في المنطقة دون أن يلاقي أية مقاومة ، وأصاب كميات وافرة من الغنائم والاسلاب ، ثم رجع الى الشمال الافريقي (١٥) .



أعمال الأمراء الأمويين في تثبيت السلطة والاستقرار

ابتدأ عهد الإمارة في الاندلس بانتصار عبدالرحمن بن معاوية في معركة المصارة ، ولم تعد الاندلس تتبع الخلافة الإسلامية في المشرق كما كانت في عهد الولاة . بل أصبحت إمارة مستقلة سياسياً حكمها عبدالرحمن وذريته من بعده . وكان كل واحد من حكامها يسمى أميراً . أما عبدالرحمن ، فقد لقب بـ (الداخل) ، لأنه أول من دخل الاندلس وحكمها من بني أمية . كما يعرف أيضاً بأسم عبدالرحمن الأول ، تميزاً له عن أميرين آخرين حكموا الاندلس بأسم عبدالرحمن ، وهما عبدالرحمن الثاني أو الأوسط ، وعبدالرحمن الثالث الناصر لدين الله . أما من الناحية الروحية ، فقد استمر عبدالرحمن الأول لفترة قصيرة من الزمن بالخطبة والدعاء للعباسيين في المشرق ، لكنه لم يلبث أن قطع الدعاء لهم ، بعد أن أشار عليه عبدالملك بن عمر المرواني بذلك . وذكره بسوء صنيع العباسيين ببني أمية . ويذكر المقرئ أن عبدالرحمن تردد أول الأمر ، لكنه قطع الدعاء حين هدده المرواني المذكور بالانتحار إذا لم يقطع الخطبة للخليفة أبو جعفر المنصور ، فقطعها عبدالرحمن بعد أن خطب بأسمه عشرة أشهر (١) .

ولكن عبدالرحمن وإن كان قد قطع الخطبة للعباسيين ، إلا أنه لم يلقب نفسه خليفة ، واكتفى بأن أضاف إلى أسمه لقب (ابن الخلائف) . ويعود السبب في عدم تلقيبه بلقب خليفة ، لأنه وخلفاءه كانوا يشعرون بأن الخلافة الإسلامية واحدة لا

تتعدد ، وإن الخليفة الشرعي للمسلمين ، الملقب بأمير المؤمنين ، لا يكون إلا من يملك الحجاز والشام والعراق ، والمواطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة ، وأهل الملة والفتح .^(٢) ويضيف بعض المؤرخين إلى اسم عبدالرحمن لقب امام ،^(٣) وهو أيضاً لقب ديني ، لكن يبدو أنه لم يكن لقباً رسمياً يستعمل بالمفهوم الذي يعنيه لقب الخليفة . واستمر خلفاء عبدالرحمن الأول على هذا الحال حتى مجيء عبدالرحمن الثالث ، الذي أعلن الخلافة الأموية في الأندلس ، وتلقب بلقب أمير المؤمنين سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م ، كما سنرى فيما بعد .

وقد نقل عبدالرحمن الأول صيغة الحكم الوراثي إلى الأندلس ، وذلك بنقل السلطة إلى أولاده وأحفاده من بعده . وقد صاحب هذه العملية بعض المشاكل ، لكنها لم تكن تضاهي ما كان يحصل في المشرق الإسلامي . أمور خطيرة نجمت عن اتخاذ هذا النظام . ويبدو أن عبدالرحمن الأول قد فشل في إيجاد نظام بديل لولاية العهد وتوفي سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م دون أن يتوصل إلى قرار حاسم لهذا الأمر . وتشير الروايات إلى أنه تردد في إسناد ولاية العهد إلى ابنه الأكبر سليمان الذي ولد في الشام ، ثم لحق بأبيه إلى الأندلس وأصبح أخيراً حاكماً على مدينة طليطلة ، أو إلى ابنه الآخر هشام المولود في الأندلس من جارية إسبانية ، وتولى شؤون مدينة ماردة . ويزعم بعض المؤرخين أن عبدالرحمن طلب من ابنه الثالث عبدالله المعروف بالبلنسي ، أن يسلم الإمارة ، في حالة وفاته ، إلى من يسبق من الأخوين في الدخول إلى قرطبة ، قائلاً : « فإن سبق إليك هشام ، فله فضل دينه ، وعفافه ، واجتماع الكلمة عليه ؛ وإن سبق إليك سليمان ، فله فضل سنه ، ونجدته ، وحب الشاميين له » .^(٤) فقدم هشام قبل سليمان ، فنال الإمارة ودخل القصر . ولا يعقل ، بطبيعة الحال ، أن يترك عبدالرحمن ولاية العهد بهذا الشكل ، وهو رجل الدولة القوي الذي أقام أركان الدولة الأموية بالأندلس ولا بد أنه عين الأمير هشام لهذا المنصب قبل وفاته . ولكن سليمان لم يعترف بهذا الأمر ، فثار في طليطلة ، وقامت الحرب بين الأخوين ، وأنضم الأخ الثالث عبدالله البلنسي إلى سليمان . وقد انتهت الأزمة بهزيمة سليمان وعبدالله ، ونفيهما إلى المغرب . وقد تجددت المشكلة حين وفاة هشام سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ م ، وتولى ابنه الحكم الأول ، فرجع عمه سليمان وعبدالله ، وثار مرة ثانية مطالبين بالإمارة . وانتهت ثورتها هذه المرة أيضاً بالفشل وبقتل سليمان سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م : أما عبدالله ، فقد

اضطر الى عقد الصلح مع ابن اخيه الحكم الذي عفا عنه وحدد اقامته في مدينة
بلنسية ، ومن هنا صار يعرف بالبلنسي . (٥)

وقد استمر نظام ولاية العهد في الاندلس في عهد الامارة بعد ذلك يسير دون
مشاكل ، فعهد الحكم بن هشام الى ابنه عبدالرحمن بولاية العهد ، فانتقلت اليه
الامارة دون ضجة أو معارضة . ثم تولى بعد عبدالرحمن الثاني أو الأوسط ابنه
الامير محمد بن عبدالرحمن الذي انتقلت الامارة الى اثنين من ابنائه ، وهما المنذر
ابن محمد الذي حكم سنتين تقريباً ، وعبدالله بن محمد الذي حكم نحو خمس وعشرون
عاماً . وعهد الامير عبدالله بالحكم من بعده الى أحد أحفاده ، وهو عبدالرحمن بن
محمد بن عبدالله ، الذي حكم نحو نصف قرن ، وفي عهده أعلنت الخلافة ، وابتدأ
عهد جديد من عهود العرب في الاندلس ، وفيما يأتي ثبت بأسماء الامراء الامويين في
الاندلس :

لم يكن هؤلاء الأمراء جميعاً على مستوى واحد من القدرة والتمكن من الاضطلاع بشؤون الحكم ، فقد تميز منهم عدة أمراء ، كان لهم دور كبير في مرحلة التأسيس والتوطيد لهذا العهد ، نخص بالذكر منهم الأمير عبدالرحمن الاول ، وكل من ابنه هشام الاول ، وحفيده الحكم الأول . كما امتاز الأمير عبدالرحمن الثاني بسبوغه وحكمته في ارساء القواعد التي وضعها عبدالرحمن الاول ، ووصل بالبلاد الى حقبة تميزت بالاستقرار والازدهار السياسي والحضاري والاقتصادي . وقد انشغل الأمراء الآخرون بالفن والثورات التي كانت تقوم على الدولة من قبل مختلف الجماعات والشرائح الاجتماعية التي تعيش في البلاد . فقضوا سنوات حكمهم في صراع مرير لتحقيق وحدة البلاد ، ومن هؤلاء الأمراء ، الأمير محمد بن عبدالرحمن ، وبشكل خاص في السنوات الاخيرة من حكمه ، وكذلك ابنه الأمير المنذر وعبدالله . وسنحاول فيما يأتي التعرف على أهم اجراءات الأمراء بوجه عام في سبيل تثبيت السلطة والاستقرار ، على الصعيدين الداخلي والخارجي .

أ - انجازات الأمراء لتثبيت السلطة الأموية على الصعيد الداخلي :

عبدالرحمن الداخل

١ - محاولة تغيير مفهوم الحكم واحلال سلطة الدولة محل سلطة القبيلة :

كانت السلطة في عهد الولاة قبلية ، وعلى الرغم من وجود والٍ أو أمير للبلاد ، لكن كل قبيلة كانت تخضع لزعيمها ، الذي يسعى للحصول على المصالح والامتيازات له ولافراد قبيلته ، ويتصرف مع بقية العشائر والقبائل وفقاً لهذه السياسة . وكانت بعض القبائل عندما تنفرد بالسلطة تنكل بغيرها من القبائل . ولقد رأينا فيما سبق موقف الصميل ويوسف من بقية القبائل اليمنية ، لا سيما بعد انتصارهما عليها في معركة شقندة . ومن هنا ، فقد كان من أهم اهداف سياسة عبدالرحمن الاول ، السيطرة القوية على البلاد ، والتقليل من نفوذ رجال القبائل ، واحلال سلطة الدولة ممثلة بالامير محل سلطة القبائل . وبما أن سلطة الدولة كانت فوق سلطة القبائل ومنازعاتها ، لهذا نرى الأمير عبدالرحمن يقف موقفاً حازماً ازاء مؤيديه حينما حاولوا خلق جو من الفوضى والانتقام من المهزومين في معركة المصارة ، وذلك بنهب العاصمة قرطبة . وقد ازدادت شكوك عبدالرحمن الاول في جدوى الاعتماد على رجال القبائل وزعمائهم ، عندما اكتشف مؤامرتهم للتخلص منه في الساعات الاولى بعد انتصاره على يوسف والصميل .

ففكر في تأسيس أول جهاز للشرطة للدولة الجديدة ، واحاط نفسه بالمؤيدين من موالي الامويين ، كما عهد الى أقربائه ، وبعض القادة الموالين من الاجناد بالمناصب الحساسة في البلاد . ونظراً لقلة هؤلاء المؤيدين في اول الامر ، اضطر عبدالرحمن الى أن يكيف نفسه للظروف ، ويسترضي قادة القبائل ، وبشكل خاص اليمانيين ، فعين زعيمهم أبا الصباح اليحصبي حاكماً على مدينة اشبيلية . ولكن عبدالرحمن كان يخطط للتخلص نهائياً من نفوذ هؤلاء الزعماء ، ولا يمكن أن يتم هذا الامر الا بخلق قوة جديدة في البلاد ، تحل محل قوة رجال القبائل العرب . وبالفعل ، فقد اتجه عبدالرحمن الى تشجيع البربر على الانخراط في جيشه ، ودعا الكثير منهم من شمال افريقيا ، وعاملهم بكرم زائد . وقد شجع هذا الموقف الذي اتخذه عبدالرحمن من البربر ، المزيد من اخوانهم الآخرين للعبور الى الاندلس والخدمة كقوة اساسية في جيشه . كما اشترى بالاضافة الى هؤلاء الكثير من العبيد ، حتى يقال أن عدد جيشه من هذين العنصرين بلغ نحو اربعين الف رجل . وربما كان في هذا الرقم نوع من المبالغة ، لكنه يشير دون شك الى ازدياد اعتماد النظام الجديد على هذه القوة الفتية . (٦)

وكان من جملة المماليك الذين اشتراهم عبدالرحمن ، سودانيون ، وقد وضع لهم الامير عرافة خاصة بهم تسمى بعرافة السود . (٧) وهكذا تعددت الاصول التي يتألف منها جيش الأندلس ، ولم يعد الامير يعتمد على العنصر العربي فقط . ومع هذا ، فقد ظل الجند العربي في الاندلس قوة أساسية ، وكان يتألف من فئتين رئيسيتين : الشاميين والبلديين ، ولكل منهما نظام دقيق في العطاء ذكره لنا المؤرخ ابن الخطيب في كتابه "الاحاطة في اخبار غرناطة" ، بتفصيل مفيد . (٨) وقد حاول عبدالرحمن أن يستفيد من هذا الجند ، اضافة الى ما استحدثه من عناصر اخرى ، فثبت من بقي على ولائه له . لكنه الغى ديوان من ثاروا عليه ، وأسقط لواء جندهم ، كما فعل بجند باجة الذي ثار عليه بقيادة العلاء بن مغيث ، فقاتله عبدالرحمن وهزمه ، ثم اسقط الجند كله من الديوان ، وحمل هو لواءه . (٩) أما تنظيم فرق الجيش في عهد عبدالرحمن ، فكان بسيطاً يتألف من فرقتين ، هما فرقة الفرسان ، وفرقة الرجالة . (١٠)

ولقد سار الأمير الحكم بن هشام ، على خطى جده في تثبيت النظام والاستقرار ، والاستكثار من الجند والماليك . فيشير بعض المؤرخين الى الحكم على أنه اول من جند الاجناد ، واتخذ العدة ، ويصفونه بأنه كان أفعل امراء بني امية بالاندلس ، وأشدهم إقداماً ونجدة ، وكانوا يشبهونه أيضاً بأبي جعفر المنصور العباسي في شدة الملك وتوطيد الدولة وقمع الاعداء . وقد أكثر من شراء الاسلحة وتوفيرها للجند ، كما اشترى اعداداً كبيرة من العبيد والماليك يقدر عددهم بنحو خمسة آلاف مملوك ، منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل . ولما كان هؤلاء الماليك لا يعرفون اللغة العربية ولا يقدرّون على النطق بها ، فقد سموا بالحرس لعجمتهم .^(١١) وجعل الحكم من هؤلاء حرساً له ، كما قسمهم الى سرايا خفيفة حتى تستطيع الحركة السريعة للقضاء على المتمردين على الدولة . ويذكر مؤلف كتاب اخبار مجموعة أنه كانت للحكم ألفا فرس مربوطة ازاء قصره المظل على نهر الوادي الكبير ، ويجمعها داران ، على كل دار عشرة عرفاء ، تحت يد كل عريف مئة فرس . وكان العرفاء يشرفون عليها وعلى علفها ، حتى تكون مستعدة دوماً لكل ما يطرأ من أمور ، فتتوجه على الفور ، بأمر من الأمير ، للقضاء على أية حركة معادية ، أو للقبض على من تسول له نفسه القيام على الدولة .^(١٢) وهكذا استطاع هذا الأمير ، ومن خلفه من الامراء أن يثبتوا السلطة والاستقرار في البلاد ، ويجموها من مخاطر المتمردين والطامعين .

٢ - محاولة الحفاظ على وحدة الأمة الروحية :

كانت الحياة الدينية في الاندلس في الفترة الاولى متأثرة ببلاد الشام ، فقد اعتنق اهل الاندلس مذهب الامام عبدالرحمن بن عمرو الاوزاعي ، امام الشام المتوفي سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م . وكان هذا الامام من المجاهدين المرابطين في مدينة بيروت ضد العدو البيزنطي . ومن هنا ، فقد كان مذهبه يركز على التشريعات الحربية ، واحكام الحرب والجهاد . وكانت هذه الامور تناسب وضع اهل الاندلس في الفترة الاولى ، حيث كان وضعهم في هذه البلاد قائم على الحرب والجهاد ، ولهذا اعتنقوا مذهب الأوزاعي .^(١٣)

ومن العلماء الذين ساروا بالاندلس على نهج الاوزاعي ، صمصعة بن سلام الشامي المتوفى سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م . وكان تلميذاً للاوزاعي ، وعليه كانت تدور الفتيا بالاندلس ايام الامير عبدالرحمن بن معاوية ، وصدرنا من ايام هشام بن عبدالرحمن ، وولي الصلاة بقرطبة ، وفي ايامه غرست الشجر في مسجد قرطبة الجامع ، وهذا على مذهب الاوزاعي . (١٤)

ولكن أهل الاندلس بدأوا باعتناق مذهب الامام مالك بن أنس ، امام دار الهجرة ، المدينة المنورة ، المتوفى سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م ، وذلك منذ ايام الأمير هشام بن عبدالرحمن . وقد انتقلت الفتوى تبعاً لذلك الى رأي مالك بن أنس ، وانتشر علمه ورأيه في قرطبة والاندلس جميعاً ، بل في شمال افريقيا أيضاً . وقد وضع الامام مالك في المدينة كتاباً في الفقه والحديث سماه (الموطأ) أي السهل الواضح . ثم ذاع صيت هذا الامام ، وانتشر كتابه في العالم الاسلامي ، وأقبل الاندلسيون على اعتناق مذهبه . أما كيفية وصول هذا المذهب الى الاندلس ، فترجع الى جهود بعض الفقهاء ورجال العلم الذين كانوا يرحلون الى الحج في الحجاز ، وهناك يلتقون بالامام مالك ، ويأخذون عنه علمه ومذهبه . وعندما رجع هؤلاء الى بلدهم وصفوا فضل مالك وسعة علمه وجلالة قدره ، فانتشر رأيه وعلمه بالاندلس . وكان رائد هذه الجماعة رجل يدعى زياد بن عبدالرحمن بن زياد اللخمي المعروف بـ (شبطون) توفي في حدود سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، وهو الذي كان فقيه الاندلس على مذهب مالك ، وهو أول من ادخل موطأ مالك الى الاندلس ، وأخذ عنه تلميذه يحيى بن يحيى الليثي . (١٥) وكان هذا الاخير المتوفى سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م يلقب بعامل الاندلس ، ويروى أن الامام مالك هو الذي لقبه بهذا اللقب . فقد ارتحل يحيى الى المدينة ولازم الامام مالك للدراسة ، فبينما هو عنده في مجلسه ، مر فيل في شوارع المدينة ، فخرج جميع الطلبة لمشاهدته ، وبقي يحيى بن يحيى في مكانه لم يخرج ، فقال له الامام مالك : ”مالك لم تخرج لتنظر الفيل وهو لا يكون في بلادك ؟ فقال له : لم أرحل لأبصر الفيل ، وإنما رحلت لأشاهدك وأتعلم من علمك وهديك ، فأعجبه ذلك منه ، وسماه عاقل الاندلس“ (١٦)

أما على الصعيد الرسمي ، فقد استهوى مذهب مالك ، كما يروى ، الأمير هشام بن عبدالرحمن الذي نقل اليه بعض الاندلسيين ثناء واعجاب مالك بن أنس به ومدحه له بقوله : نسأل الله أن يزين مؤسماً به ، أو نسأل الله أن يزين حرماً ملككم . ولهذا فقد حمل هشام الناس على مذهب الامام مالك ، وترك مذهب الأوزاعي^(١٧) وبطبيعة الحال ، لا يمكن لمذهب من المذاهب أن ينتشر في بلد ما لجرد الاعجاب المتبادل بين إمام المذهب وأمير البلد ، ولا بد أن تكون هناك عوامل أخرى سياسية واجتماعية ونفسية ساعدت على انتشار مذهب الامام مالك في الاندلس .

فلقد قامت الامارة الاموية في الاندلس مستقلة عن المشرق ، وبشكل خاص عن الدولة العباسية التي كانت مذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي . ويبدو أن تألفاً في الموقف ازاء الدولة العباسية جمع بين مالك بن أنس والأمير هشام بن عبدالرحمن . فقد كان الامام مالك لا يميل الى العباسيين ، حتى أنه أفتى ضدهم لصالح انضمام الناس الى ثورة محمد ذو النفس الزكية . وقد أدت فتوته الى غضب الخليفة أبو جعفر المنصور ، ووالي المدينة الذي ضربه بالسياط . ولهذا فأعتناق أهل الاندلس ، وأميرهم بشكل خاص لمذهب مالك يحمل بعداً سياسياً ، ويحقق لهم النزعة الاستقلالية عن غيرهم من البلدان ، ويؤكد شخصيتهم المتميزة .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان لطبيعة أهل الاندلس والمغرب أثر في تقبلهم لمذهب مالك وعزوفهم عن غيره . وذلك أن هذه الطبيعة كانت تتميز بالبساطة والبعد عن التعقيد ، وهي لهذا تشبه طبيعة أهل الحجاز الذين تغلب عليهم نزعة أهل الحديث والاعتماد على مذهب مالك الذي يتقيد بنصوص القرآن والحديث ، ولا يلجأ الى استعمال الرأي والقياس الا في حدود ضيقة . وهذا على عكس البيئة العراقية التي تتميز بالتعقيد ، لأنها تضم اجناساً متعددة ومللاً مختلفة ، مما أدى الى ظهور قضايا ومشاكل جديدة لا تنطبق عليها النصوص ، وتحتاج الى الاجتهاد والاستنتاج العقلي ، والقياس ، وعلى هذه الأسس يقوم المذهب الحنفي ، ويعرف اتباعه بأهل الرأي والقياس . أما عقلية أهل الاندلس فكانت تغلب عليها نزعة أهل الحديث ، ولهذا اعتمدوا أولاً على مذهب الاوزاعي ، وهو من انصار مدرسة الحديث ، ثم اعتمدوا بعد ذلك على مذهب مالك الذي يسير في هذا الاتجاه ، ويعرف أصحابه بأهل الحديث .

وهناك عامل آخر ربط أهل الاندلس بأهل الحجاز أكثر مما ربطهم بأهل العراق . ذلك أن معظم العرب الفاتحين للاندلس كانوا من أصل حجازي ، وخاصة أولئك الذين جاءوا مع موسى بن نصير . أما البقية فهم من بلاد الشام ومصر ، أي الذين دخلوا مع بلج بن بشر . ولم يكن في هذه الجيوش من ينتمي الى أهل العراق . ومن هنا ، فقد كان من الطبيعي أن يحاول هؤلاء الحجازيون الاتصال بأهاليهم وذوهم والعودة لأداء فريضة الحج ، وقد ساعد هذا الأمر على اتصالهم بالامام مالك والتعرف على مذهبه .

وعلى أية حال ، فإن انتشار مذهب مالك ، وتمسك الامراء الأمويين به سواء بقصد الإعجاب به وتفضيله على غيره من المذاهب أم لتأكيد شخصيتهم الاستقلالية ، أدى الى نوع من الاستقرار في البلاد . لأن سياسة المذهب الواسطية هذه جنبت الثغور الاسلامية ، ورجال القبائل بشكل عام شروا الفتن المذهبية ، وحفظت لها سلامتها ووحدة الروحية . واستمرت الاندلس طيلة عهد الامارة ، بل طيلة العهود الاسلامية الاخرى تعتنق هذا المذهب ، وتتمتع بالاستقرار الروحي ، الذي شمل أيضاً ممالك شمال افريقيا . ولا تزال بلدان هذه المنطقة تحتفظ بأعتناقها لهذا المذهب لحد الوقت الحاضر . ولقد أثر اتخاذ العرب في الاندلس لسياسة المذهب الواحد على الممالك المسيحية المجاورة التي قامت في اسبانيا . فقد أتبعته هي الأخرى سياسة المذهب الديني الواحد وأقتصرت على المذهب الكاثوليكي ، وتغصت له ، فأصبحت أكثر تمسكاً وتعصباً للبابوية الكاثوليكية من البابا

عنوان المحاضرة: تولية عبد الرحمن الناصر
جهوده في استعادة الوحدة الوطنية
المادة الدراسية: تاريخ الاندلس
المرحلة الدراسية: المرحلة الرابعة
مدرس المادة: م.د. هيثم محمود يونس



جامعة الموصل
كلية الآداب
القسم: التاريخ

- تولية عبد الرحمن الناصر - جهوده في استعادة الوحدة الوطنية

بوفاة الامير عبد الله سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م تولى حفيده عبد الرحمن بن محمد
الامارة دون اعلمائه ، أو اعمام ابيه الذين كانوا احق منه بالامارة ، ولعل من جملة
الاسباب التي قدمت الامير عبدالرحمن على غيره من امراء بني امية سببين :
الاول : شخصيته
والثاني : طبيعة الدولة الاموية في هذه الفترة .

فقد نشأ الامير عبدالرحمن يتيماً في كفالة جده الامير عبد الله محاطاً بالرعاية
والاهتمام الزائدين محبوا بعناية لا حدود لها حتى برز اقرانه من الامراء في العلوم
والاداب وفنون الفروسية والسياسة التي تدرب عليها نظرياً وعملياً في بلاط جده
الامير الذي بدأ ومنذ وقت مبكر يكل اليه مهام الامور ، وينيبه في الجلوس عنه
في الاحتفالات والاعياد^(٢) ، فكان مميزاً من بين امراء بني امية ، محاطاً بانظار
الخاصة من كبار رجال الدولة عسكريين ومدنيين ، معروفاً من العامة وطبقاتها
المختلفة ، وكان في نظر الجميع مؤهلاً اكثر من غيره ليتولى قيادة الدولة بعد جده
الامير عبد الله ، ذلك إن الامير عبدالرحمن كان من بين كل امراء بني امية نطاً
قريباً من الرجال توازن بناؤه الذاتي والفكري مع درجة تعقيد الفترة التاريخية

التي عاصرها فهو لم يترك شخصيته تنمو تلقائياً وإنما كان ينمى مرتبطاً بدرجة التآزم والتحديات التي كانت تمر بها الدولة العربية في الأندلس ، لذا قد صرح أنه يعيد إحياء الدولة العربية ويضطلع بدور يشبه إلى حد كبير دور مؤسس الدولة عبدالرحمن الداخل . فضلاً عن ذلك فإن بعض الروايات التاريخية تؤكد إن جده قد ولاه ولاية عهده من بعده (٣) .

أما الدولة في الأندلس ، فقد كانت في وضع عجزت معه عن ردع المغيرين على أطراف العاصمة قرطبة نفسها بعد أن تجاذبتها الأعاصير من كل صوب (٤) ، وتفاقم أمر التحدي الداخلي للسلطة مما أعطى للتحديات الخارجية فرصاً سانحة وسهلة لتحقيق ما كانت تبغيه من التوسع على حساب سيادة الدولة العربية ، وهذه الظروف العصبية التي عاشتها الدولة العربية في الأندلس لم تكن بغية الطامعين في الحكم ، فقد كانوا تواقين بالاجماع ودون اتفاق مسبق إلى مساندة كل شخصية يتوسمون فيها الخصال التي تعيد مكانة الدولة السابقة داخلياً وخارجياً ، فكان عبدالرحمن أقرب الشخصيات إلى هذه المواصفات ، فتمت بيعته في نفس اليوم الذي توفي فيه جده ، وكان رأس المبايعين له أمراء بني أمية الذين عبروا عن رأيهم فيه من خلال كلمة قصيرة القاها أحمد بن عبدالله (عم الأمير) (٥) نيابة عنهم ، وبدأها بقوله : « لقد اختارك الله على علم للخاص منا والعام ، ولقد كنت انتظر هذا من نعمة الله علينا ... » (٦) .

ثم بايعه كبار الموظفين في الدولة ووجوه القوم في قرطبة ، وناب عنه بعض القواد والرؤساء لتلقي البيعة العامة في المسجد الجامع بقرطبة ؛ وأرسلت الرسل لأخذ البيعة من الكور وولاية الأقاليم وكانت البيعة ضرورية خلال هذه الفترة من عصر الإمارة - وإن كانت طبيعية وواجبة في الظروف الطبيعية لفرز أهل الطاعة عن أهل العصيان الذين أبوا مبايعة الأمير والانقياد إلى سلطته ، وظلوا محتفظين بدمهم وحصونهم حكماً مستقلين لا يعيرون أدنى اهتمام للعهد الجديد وأول عمل قام به الأمير بعد اعتلائه كرسي الإمارة إعلان سياسته من خلال منشور عام

وجه بالدرجة الاولى الى العناصر المناوئة والخارجة على السلطة ويقوم المشور
الاساس على مبدئين :

الاول :
التأكيد على التسامح واسقاط كافة الجرائم التي اقترفت بحق الدولة واعاد
كافة الحقوق المشروعة في حالة إعلان الولاء للسلطة المركزية

الثاني :
الوعيد والانذار بأجتثاث معاقلة المتمردين والعابثين بأمن البلاد أو المتحالفين
مع القوى الاجنبية ضد الدولة (٧)

ولقد أيقن الأمير عبدالرحمن الثالث منذ البداية أنه ورث تركة ثقيلة وإن
المهمات الملقاة على عاتقه صعبة نتيجة فقدان الاداة القادرة على التنفيذ والتحريك
بمستوى الاحداث وجسامتها ، لذا عمد الى اصلاح الادارة بما يتوازن ومتطلبات
المرحلة ، والاهتمام بالقوات العسكرية بما يحقق لها تفوقاً على اعدائه مجتمعين
وأضاف الى امكانياته المتاحة امكانيات وقوى أخرى بعد كسب العديد من زعماء
المتمردين والخارجين واستخدامهم في ضرب القوى التي ظلت على عنادها واستمرت
في الاغارة على ممتلكات الدولة . وقبل الشروع في تفاصيل الحوادث التي تخضر
عنها قيام الوحدة الوطنية في الاندلس نشير الى اسباب انفراط الوحدة الوطنية في
البلاد وهي باختصار تنحصر في الاسباب الآتية :

غياب القائد في مرحلة كانت تشكل فيها عوامل الخلل عنصراً ظل يفعل فعله
حتى أتى على وحدة البلاد ، فأستقل اصحاب الزعامات في مناطقهم ينافسون الأمير
في القابله . وقد اشتركت في صنع وإدامة هذا الخلل معظم عناصر المجتمع في
الاندلس من عرب بربر ومولدين ومستعربين ، (٨) ولم يتمكن الامراء الثلاثة محمد
بن عبدالرحمن الاوسط (٢٣٨ هـ - ٢٧٣ هـ) والمنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ)
وعبدالله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) من القضاء على التمردات وأعمال الشغب
التي قامت ضد السلطة المركزية حتى آلت البلاد خلال هذه الفترة الى عصر
دويلات المدن ، وأصبحت سلطة الامير لا تتمدى في أكثر الاحيان العاصمة
قرطبة .

أما مادون ذلك فبيد حكام المدن يقررون سياستهم حسب مصالحهم الذاتية .
وعورة بعض المناطق وحصانة قلاعها ، وتمرس أهلها في الدفاع والاعتصام عند الحاجة .

الاستناد عند الحاجة الى أمراء وملوك الممالك الشمالية الذين لم يتوانوا عن مساعدة الخارجين على السلطة الشرعية بقصد الاخلال بأمنها وتشيت قواتها وانشغالها بمشاكل داخلية .

عدم الاكتراث بسلطة الدولة المركزية ، وقلة الاحتمال للطاعة ، لكون معظم الرعاء المحليين ينحدرون من انساب عريقة عربية كانت أو قوطية . (٩)
سوء سيرة بعض الوزراء والقواد سبب آخر مضاف الى قيام اعمال الشغب والتمرد ضد الدولة ، خصوصاً اذا ما أصابت تلك السيرة أحد رجالات الاندلس من ذوي المكانة المرموقة لدى قومه . (١٠)

وبدأت العمليات العسكرية حسب خطة مرسومة محدودة الاهداف ومحسوبة النتائج ، قاد أولها الوزير عباس بن عبدالعزيز القرشي الذي استطاع تطهير قلعة رباح في ربيع الثاني سنة ٣٠٠ هـ (١١) وفي جمادي الاول من السنة نفسها كانت قوة من قوات الامير قد استردت مدينة استجه من اتباع ابن حفصون بعد أن هدت تحصينات المدينة التي كانت تقوم عليها أصلاً استراتيجية كل متغلب ومتمرد فيها . (١٢)

وكانت هاتان الحملتان وغيرها أنذاراً فعلياً للمتمردين وأيداناً بحملات عسكرية تنصيب كل الخارجين على السلطة ، ومن ثم فها تدخلان ضمن نطاق الاستطلاع العملي الذي من خلاله أمكن تحديد مناطق نفوذ المتمردين ، وقياس قوتهم والوقوف على مراكز تجمعاتهم ، لذا بدأ الامير في شعبان من سنة ٣٠٠ هـ بقيادة القوات بنفسه محققاً بذلك هدفين :

الاول : رفع مغنويات الجند

الثاني : إثارة الفرع لدى قوات اعدائه .

وأختار منطقة وعرة في كورة جيان حوت المئات من الحصون والمعازل العاصية على الدولة وبدأت العمليات العسكرية بالاستيلاء على حصن مارتش ، (١٣) وحصن

المتلون بعد قتال شديد اضطر على أثره سعيد بن هذيل على الاستسلام في رمضان بعد يأس من جدوى المقاومة، (١٦) وتوجهت القوات بعد ذلك الى حصن شمس وزعيم المتمردين فيه عبيد الله بن أحمد بن الشالية الذي خارت قواه بعد سقوط حصن المتلون، فأستسلم دون مقاومة ونزل عن جميع معاقله وحصونه وكان عددها يقارب المائة (١٧) وفضلاً عن ذلك فقد تم تطهير العديد من الحصون التي كانت تدعى بالولاء لعمر بن حفصون كحصن بكور وحصن قاشرة وحصن شقرة وحصن اقليق. (١٨)

وبعد أن تم تحرير كورة جيان، اتجهت القوات الرئيسية حيث تم تطهير كورة البيرة من فلول عصابات ابن حفصون، ولم يلق الأمير صعوباً في اقتحام الحصون وإن كان حصن شيلش قد امتنع لفترة، (١٩) وكان ابن حفصون يتنحى فيه قبل أن يحس بعدم جدوى المقاومة فتسلل هارباً يريد قلعة أبيه ببستر، (٢٠)

واعقب سقوط حصن شيلش سقوط مجموعة من الحصون الأخرى كحصن اشتين قرب البيرة وحصون وادي آش وغيرها. (٢١)

وقد شعر ابن حفصون بهذا الجزر الذي اصاب نفوذه فاراد أن يحقق انتصار يعادل خسائره، فقرر احتلال غرناطة، ولكنه رد على اعقابه بعد أن اعترضته قوات الدولة في منطقة البيرة ومنعته من تحقيق هدفه. (٢٢)

وتعد هذه الحملة أولى الحملات التي قادها الأمير عبدالرحمن بن نفسه وقد استغرقت ثلاثة أشهر من شهر شعبان الى عيد الاضحى من سنة ٣٠٠ هـ وتعرف في المصادر العربية باسم (غزوة المتلون) وكان من نتائجها :
تحرير أكثر من سبعين حصناً من أهم الحصون سوى ما يلحق بهذه الحصون وما حرر بتحريرها من الأماكن والأبراج والقصبات والتي عدها ابن حيان بما يقارب الثلاثمائة. (٢٣)

عنوان المحاضرة: نظام الحجابة والوزارة
المادة الدراسية: تاريخ الاتدلس
المرحلة الدراسية: المرحلة الرابعة
مدرس المادة: م.د. هيثم محمود يونس
العام الدراسي: ٢٠٢٤-٢٠٢٥



جامعة الموصل
كلية الآداب
القسم: التاريخ

٢ - نظام الحجابة والوزارة :

١ - الحجابة :

الحاجب منصب إداري مشرقي ، مهمته إدخال الناس على الخليفة حسب مقامهم وأهمية أعمالهم^(١) . ولكن هذا المنصب في الاندلس الذي أوجده الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٣ هـ) وقلده أخلص رجاله ، من أمثال : يوسف بن بخت وعبد الواحد بن مغيث الرومي وغيرهم^(٢) ، هو بمثابة رئيس الوزراء الذي يعتبر حلقة الوصل بين الأمير الأموي وبين وزرائه^(٣) .

واعتمدت الامارة الاموية على اسر معينة فولت رؤساءها الحجابة مثل اسرة
ابي عبدة ، واسرة ابن شهيد وغيرها . ففي عهد الامير هشام ١٧٢ - ١٨٠ هـ
تولى الحجابة ابو امية عبدالغافر بن أبي عبدة ، وكان حاجب الامير الحكم بن
هشام ١٨٠ - ٢٠٦ هـ أخاه أبا عبدة عبد العزيز (٤) . ويخبرنا ابن عذاري بأن
حجاب الامير عبدالرحمن الاوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) هما عيسى بن شهيد وابن
ابي عبدة (٥) .

وتولى عيسى بن الحسن بن ابي عبدة الحجابة للامير محمد (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ)
بعد وفاة الحاجب عيسى بن شهيد . ووصفت لنا بعض الروايات بساطة هذا
الحاجب وسلامة نيته (٦) .

وشغل ابو عثمان عبيدالله بن محمد بن الغمر بن ابي عبدة حاجب الامير محمد في
عهد والده الامير عبدالله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) . ويبدو لنا إن هذا المنصب
الاداري (حاجب أولاد الامراء) لا يعطي صلاحيات الحاجب نفسها الذي يكون
بمثابة رئيس الوزراء . وربما يعني الوزير الخاص للامير الولد في عهد والده . وقد
استغنى الامير عبدالله عن منصب الحجابة آخر ايامه مكتفياً بوصيفه بدر بن احمد
الصقلي الذي كان ينظم اموره (٧) . وكان بدر مولى الامير الناصر من اشهر حجاب
هذا الامير (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) ، واشتهر الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي بتولي
هذه الخطة على ايام الخليفة الحكم (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) (٨) .

وبعد وفاة الحكم عام ٣٦٦ هـ سيطر الحاجب المنصور على مقاليد الامور
وعرفت هذه الفترة ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ بفترة الحجابة تولى امرها الحاجب المنصور
وأولاده من بعده وقد أحاط الحاجب المنصور نفسه بهالة من الابهة والفخامة حتى
إن الوزراء وغيرهم كانوا يقبلون يديه ، كما أنه حجر على الخليفة هشام وسأواه في
المراتب (٩) .

ولما سقطت الخلافة الاندلسية ، وقامت على انقاضها دويلات الطوائف ، اتخذ
بعضهم لقب الحاجب مثل سابور الفارسي ، وهو اول المستقلين في منطقة بطليوس .
وباديس بن حبوس صاحب غرناطة ، واحمد بن قاسم امير البوننت (١٠) .

(٤) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٣٠ - عنان ، دولة الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٥١
(٥) البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٩٣
(٦)

وعندما أصبحت الاندلس ولاية مرابطية ، لم تر في نظم المرابطين من حمل اسم الحاجب ، وكذلك الحال بالنسبة لدولة الموحدين . إلا أن الوزير أحياناً في دولة الموحدين يقوم مقام الحاجب ، أي إختصاصه هنا رئيس تشريفات ، فهو الذي يجيب الخليفة عن الخاصة والعامة ويأذن للوفود بالدخول عليه مع تقديم كل فرد بذكر اسمه ونسبه وبلده^(١١) . ولكن وجد حجاب للمهدي بن تومرت وللخلفاء الموحدين الآخرين ، ولكن الذي يبدو أن هؤلاء لم يكونوا بمثابة رئيس وزراء ، بل عملهم يقتصر على خدمة الخليفة الموحدي ومرافقته في حلة وترحاله^(١٢) .

ووجد لقب الحاجب في مملكة غرناطة أي بمعنى رئيس الوزراء ، وكان له نفوذ كبير^(١٣) . وكان الحاجب يوجه الهيئة الحاكمة ويتولى رئاسة القصر الملكي ، والسلطان محمد الرابع هو أول من أوجد هذا المنصب عام ٧٢٩ هـ / عندما عين أبا النعيم رضوان حاجباً له وسلمه إدارة المملكة السياسية والعسكرية^(١٤) .

ب - الوزارة

وجد نظام الوزارة في الاندلس منذ قيام الامارة الاموية . وكانت وزارة متعددة المناصب ، لها رئيس وزارة يسمى الحاجب ، وهو حلقة اتصال بين الوزراء والامير . وهذا التعدد في عدد الوزراء لانجده في المشرق ، حيث كانت السلطة مركزة في يد وزير واحد ، وقلما وجد وزيران . أما في الاندلس فلكل ناحية من نواحي الادارة العامة لها وزير يختص بها ، وهناك بيت خاص لانعقاد مجلس الوزراء في قصر الامارة^(١٥) .

وبعد أن توطدت الامور للأمير عبدالرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ) ، إستوزر عدة اشخاص من رجاله الأكفاء منهم : ابو عبده حسان بن مالك وابنه عبدالغافر ، وشريك ابن عيسى بن شهيد ، وثعلبة بن عبيد الجذامي وغيرهم^(١٦) . وعَدَلَ الامير عبدالرحمن الاوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) نظام الوزراء ، فقسمها الى

عدة وزارات مختلفة ، والزم وزراءه الحضور يومياً الى بيت الوزارة الذي خصصه لهم في قصر الامارة ، وذلك من أجل مشاورتهم في جميع امور الدولة^(١٧) ومن أشهر وزراء هذا الامير حسن بن عبدالغافر بن أبي عبده^(١٨) . وأقر الامير محمد بن عبدالرحمن ٢٣٨ - ٢٧٣ هـ حاجب أبيه عيسى بن شهيد ومعظم الوزراء الذين كانوا يتولون خدمة أبيه^(١٩) .

كما أن الامير محمد وضع نظاماً جديداً للوزارة يمتاز فيه الوزراء بنوع من التعظيم ، وقدم الوزراء الشاميين على الوزراء البلديين وأعلاهم في الجلوس على كراسيهم ببيت الوزارة^(٢٠) .

وفي عهد الامير عبدالله (٢٧٥ - ٣٩٩ هـ) إزداد عدد الوزراء ، واحتلت اسرة ابي عبدة مكانة في هذا العصر حيث تولى خمسة افراد منها الوزارة في آن واحد^(٢١) . واستمر الامير عبدالله على سياسة والده الامير محمد في تقديم الوزراء الشاميين على الوزراء البلديين . فقد إجتمع في عهده وزير شامي وهو موسى بن حدير ، ووزير بلدي وهو عيسى بن احمد بن محمد أبي عبدة . واراد عيسى التقدم على صاحبه معتزاً بمكانة أبيه الوزير القائد أبي العباس صاحب الفضل في انقاذ الامارة من الضياع ، لكن الامير عبدالله أثر أن يظل الامر كما رسمه أبوه للوزارة ، أي قرر أن يظل بنو حدير متقدمين على بني أبي عبدة^(٢٢) .

وفي عهد الخليفة الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) استمرت اسرة ابي عبده تتولى المناصب الوزارية وقد اعتمد عليها الناصر اعتماداً كبيراً في الشؤون الادارية والحربية^(٢٣) . وفي عهد هذا الخليفة اطلق لقب (ذو الوزارتين) على بعض الوزراء والحجاب في الاندلس ، فقد اطلقه الناصر على وزيره احمد بن عبدالملك بن شهيد

عام ٣٢٧ هـ (٢٤) ، وهو لقب تشريفي مثل لقب (ذو السيفين) الذي منحه الحكم لقائده غالب بن عبد الرحمن ، بعد أن قلده سيفين عقب انتصاره على بقايا الادارسة عام ٣٦٤ هـ (٢٥) .

وفي فترة الحجابة ٣٦٦ - ٣٩٩ هـ قلت أهمية الوزير ، مما فرض عليه من الخضوع للحاجب وتقبيل يديه ، وبذلك ضعفت شخصية الوزير ، ومما يدل على ذلك أن زيري بن عطية زعيم قبيلة مغراوة الزنانية في المغرب احتقر لقب وزير الذي أنعم عليه به الحاجب المنصور ، بعد مساعدته في اتحاد حركة الحسن بن كنون (٢٦) .

ولما سقطت الخلافة الاندلسية وقام عصر الطوائف . انخفضت مرتبة الوزير وصار هذا المنصب يمنح للطبقة الوسطى من الموظفين والكتاب وشيوخ القرى . كذلك زاد استعمال الالقاب التشريفية المزدوجة مثل : ذو الوزارتين وذو الرياستين ، وذو امثال أبي بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، والوزير ابن الحضرمي وزير التوكل بن الافطس صاحب بطليوس ، والوزير ابن الحديدي وزير المأمون بن ذنون صاحب طليطلة . وغيرهم كثير (٢٨) .

وأصبحت الاندلس ولاية مرابطية ، واحتل الوزير في عهدهم مكاناً مرموقاً ، وكان الشخص المقرب من السلطان ، وكان يستشير في كل الامور (٢٩) . ووجد في دولة المرابطين نوعان من الوزراء :

- ١ - وزراء عسكريون ، وهم من قرابة السلطان ، ومن قبائل لتونة وضهاجه .
- ٢ - وزراء كتاب وهم من الفقهاء .

ومن الوزراء الاندلسيين الذين اعتمد عليهم السلطان المرابطي علي بن يوسف ، الوزير الفقيه مالك بن وهيب الاشبيلي ، وهو الذي اشار على هذا السلطان بقتل محمد بن تومرت لما استفحل أمره (٣٠) . واشتهر كذلك الوزير ابو بكر بن باجه العالم المشهور (٣١) .

وفي عهد الموحدين ، اعتمدوا نظام الوزارة بجانب مشيخة الموحدين وعرفوا باسم العشرة أو أهل الجماعة. (٣٢) وكان منصب الوزير من المناصب المهمة ، وقد شغله عدد من أبناء الخلفاء وأخوتهم ولذا سموا بالسادة أو الاسياد ، وهؤلاء الوزراء الاسياد يتخذون غالباً وزراء يعاونوهم. (٣٣)

ومن الوزراء أصحاب الاصول الاندلسية الذين وزروا للخلفاء الموحدين ، أبو العلاء ادريس بن ابراهيم بن جامع وزير الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ) ، وكان والده ابراهيم بن جامع من مدينة شريش الاندلسية وكان من اعوان ابن تومرت ، واصبح لأبي العلاء مكانة مرموقة في البلاط الموحيدي. (٣٤) وكذلك الوزير أبو بكر محمد بن عبدالملك بن أبي العلاء بن زعر الايادي (توفي عام ٥٩٥ هـ) الذي كان وزيراً للخليفة يعقوب المنصور (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ) ، وكان دائم التردد بين المغرب والاندلس. (٣٥)

وكان وزير الموحدين احياناً يقوم بمهمة الاشراف على الاندلس وتفقد أحوالها ، وبعضهم شارك في معارك الجهاد الاندلسية التي خاضتها القوات الموحدية والاندلسية ضد الممالك الاسبانية ، واستشهدوا فيها. (٣٦)

ونرى كذلك أن بعض حكام مدن الاندلس الموحدين يُعين لهم وزير يساعده في ادارة الولاية. (٣٧)

أما نظام الوزارة في عهد مملكة غرناطة ، فكان له مكانة عالية ، وكان الوزير دائماً ينوب عن السلطان ، وهو الذي يهيمن على شؤون الدولة المدنية والعسكرية ، ولذا كثيراً ما كان الوزير الغرناطي يلقب بالقب تدل على قوة نفوذه مثل : لقب الرئيس وعماد الدولة ، وذي الوزارتين وغير ذلك. (٣٨) وتقلد منصب الوزارة في مملكة غرناطة اشخاص من علية القوم ، واشخاص عاديون ، وأحياناً من أرقاء الاسبان. (٣٩)

وكان لوزراء بني الأحمر ادوار سياسية مهمة من خلال المهات التي أوكلت الى بعضهم ، فالوزير ابن الخطيب ذهب سفيرا الى فاس ، ثم ارسل مرة اخرى الى عدوة المغرب كي يطلب عون المرينيين لصد الخطر الاسباني . والوزير ابن زمرك قام بتسيع رحلات الى بلاد الاسبان من أجل عقد معاهدات صلح ، وبعض الوزراء قاد بعض الحملات العسكرية امثال الوزير أبي النعيم رضوان . (٤٠)

وأكتفى بعض سلاطين غرناطة بوزير واحد ، بينما نجد في عهد السلاطين الآخرين عدة وزراء ، ووصل عددهم الى خمسة وزراء ، واشتهرت بعض العائلات بتولي ابتائها مناصب الوزارة مثل عائلة آل الامين وبني عبدالبر وبني سراج وغيرهم . (٤١)



١ - نظام الشرطة :

بدأت ولاية الشرطة في الاندلس منذ عصر الامير عبدالرحمن الداخل ،
(١٣٨ - ١٧٢ هـ) بعدما شعر بخطر اليانية عليه بعد الانتصار في معركة المسارة ،
وذلك عندما منعهم من نهب قصور قرطبة .^(١) وأسند ادارتها الى عبدالرحمن بن
نعم ، ومن بعده للحصين بن الدجن العقيلي .^(٢)
واول من تولى قيادة الشرطة من اسرة أبي عبده هو عبدالغافر بن أبي عبده ،
حيث تولاه للامير هشام (١٧٢ - ١٨٠ هـ) .^(٣)

والامير عبدالرحمن الاوسط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) هو الذي ميز بين ولاية السوق
عن احكام الشرطة المسماة بولاية المدينة ، فأفردتها وقرر لواليتها ثلاثين دينار في
الشهر ، ولوالي المدينة مائة دينار .^(٤) ويبدو أن صاحب المدينة كان يشرف على
الخدمات العامة في العاصمة ، إضافة الى صلاحيات ولاية الشرطة العليا ، ويستخدم
سلطة جهاز الشرطة ايضاً في التحقيقات المدنية .^(٥) وقسمت ولاية الشرطة الى
قسمين : ولاية الشرطة العليا (الكبرى) وجعل لصاحبها الحكم على أهل المراتب
السلطانية والضرب على أيديهم في الظلمات ، وعلى أيدي أقربائهم من أهل الجاه .
وجعل لصاحبها كرسيّاً بباب دار الامارة ، وفي خدمته عدة رجال ينفذون
أوامره وولاية الشرطة الصغرى . وجعل لصاحبها الحكم على عامة الناس .^(٦)
واخبرتنا بعض الروايات ، انه في عام ٣١٧ هـ / ٩٣٠ م استحدث منصب ولاية
الشرطة الوسطى التي اعطيت الى سعيد بن سعيد بن حدير .^(٧)

وفي عهد الامير عبدالله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) تولى ولاية الشرطة العليا (صاحب
المدينة) ابو العباس احمد بن محمد بن أبي عبده ، وكذلك ابو عثمان عبيدالله بن محمد
الغمر بن أبي عبده .^(٨) وفي بداية عهد الامير عبدالرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠

(هـ) حصرت ولاية الشرطة العليا في أولاد الوزير القائد أبي العباس أحمد بن محمد ،
فتولاها أولاده الثلاثة : عباس وعبدالله وعيسى ، وتولاها كذلك حفيده أحمد بن
عيسى . (١٠)

ونجد في أحداث القرن الرابع الهجري أن صاحب المدينة كان مستقلاً عن
صاحب الشرطة ، ونستدل على ذلك بما قاله ابن حيان في أحداث عام ٣٦١ هـ :
« نظر الوزير صاحب المدينة بقرطبة جعفر بن عثمان مع صاحب الشرطة والسوق
أحمد بن نصر فيما عهد اليه الخليفة المستنصر بالله » . (١١) واستمر كذلك أيام الحكم
المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) الأنواع الثلاثة للشرطة ، العليا والوسطى
والصغرى . (١٢)

واعطيت لصاحب الشرطة صلاحيات واسعة في الاندلس ، تصل احياناً الى
تنفيذ حكم الاعدام دون الرجوع الى الحاكم (الخليفة) . (١٣) وقد أشار ابن عبدون
هذه الخطة وسمى صاحبها الحاكم ، وذكر لنا الصفات الجليلة التي يجب أن تتوفر
فيه . (١٤) ويبدو أن هذه الصفات كانت نظرية ، فوجد عملياً من تولى أمر الشرطة
من وصف بالتأخر في عقله وعلمه أمثال أمية بن أحمد بن حمزة القرشي الاموي
(توفي عام ٣٩٣ هـ) ، (١٥) ومحمد بن يحيى بن قاسم القيسي (توفي عام ٤١١ هـ) ،
وحسن بن محمد بن ذكوان (توفي عام ٤٥١ هـ) . (١٦)

ووجدت لدينا روايات تشير الى أن صاحب الشرطة قد كلف بأعمال خارج
اختصاصه ، فمثلاً نرى صاحب الشرطة أحمد بن نصر شارك مع غيره في تشييد
محراب المسجد الجامع على عهد الخليفة الحكم المستنصر . (١٧) كما كلفه الخليفة
المستنصر - بعد أن أعطاه ولاية السوق ، بتوسيع المحجة العظمى بسوق قرطبة
لضيقتها وهدم الحوانيت من أجل التوسيع ، وكذلك كلفة بنقل دار البرد من غربي
قرطبة الى دار الزوامل التي بالمصارة من طرف قرطبة . وكلف أيضاً بقضاء كورة

جيان (١٧) وشارك أصحاب الشرطة أيضاً في عصر الحكم المستنصر في عمليات الجهاد حيث خرجوا عام ٣٦٤ هـ مع جيش الصائفة (١٨) وكان صاحب الشرطة أحياناً هو قائد الجيش في بعض الولايات الاندلسية ، حيث يكلفه الخليفة في بعض المهام ، كما هو حال صاحب الشرطة العليا وقائد بلنسية وطرطوشة هشام بن محمد بن عثمان (١٩) وفي عام ٣٦١ هـ اعطى الخليفة الحكم الشرطة الوسطى لمحمد بن أبي عامر وجعله أيضاً قاضي القضاة (٢٠) وكان الخليفة الحكم يعهد لصاحب الشرطة والسوق بأعمال البر كتوزيع الاموال على الفقراء والمساكين (٢١).

ومارس صاحب الشرطة بعض المهام الدبلوماسية / فني عام ٣٦٠ هـ كلف الخليفة الحكم صاحب الشرطة هشام بن محمد بن عثمان وقائد طرطوشة وبلنسية أن يصحب الوفود الاسبانية الوافدة الى العاصمة ، وربما كان ذلك لقرب منطقة عمله من الممالك الاسبانية (٢٢).

وتجربنا بعض النصوص إن وظيفة صاحب الشرطة وصاحب المدينة كانت تجمع في وظيفة واحدة أحياناً في عهد الخليفة هشام المؤيد ، حيث جمعت لمحمد بن أبي عامر (٢٣) الذي عم في زمنه الأمن في مدينة قرطبة (٢٤) وتولى خطة الشرطة بعض العلماء والفقهاء في فترة الحجابة أمثال سعيد بن أحمد بن حدير الذي تولى الشرطة في بداية عهد هشام المؤيد (٢٥) والاديب احمد بن ابان المتوفى عام (٣٨٢ هـ) ، (٢٦) وغيرهم .

ونرى من خلال تراجم اصحاب الشرطة في عصر الحكم المستنصر والحاجب المنصور ، إن صاحب الشرطة قام بأكثر من عمل إداري ودبلوماسي وعمراني

وعسكري الى جانب عمله الرئيس، (٢٧) وذكرت بعض المصادر التاريخية، (٢٨) بتلقب ابن حيان المؤرخ بصاحب الشرطة، ويبدو أن هذا اللقب كان لقباً فخرياً أو تشريفاً ليس إلا. (٢٩)

وفي عهد الفتنة ٣٩٩ - ٤٢٢ هـ، تعرض صاحب الشرطة للعزل والقتل نظراً لتعاقب الخلفاء في هذه الفترة، والذي كان كل خليفة جديد يعمل على تعيين صاحب شرطة من رجاله وعزل السابق وربما يقتله، حيث صلب الخليفة محمد بن هشام حاكم المدينة عبدالله بن عمر عندما سيطر على قرطبة عام ٣٩٩ هـ: (٣٠) وفي أيام الخليفة محمد المهدي تولى الفقيه احمد بن عبدالرحمن بن غالب بن حزم الحكم بالجانب الغربي من قرطبة. (٣١) ولعل هذه الرواية تدل على أن خلفاء الفتنة ربما قسموا قرطبة الى مناطق وعينوا على كل منطقة منها صاحب شرطة، أو إن كثرة الحوادث في الجانب الغربي كانت مدعاة لهذا التعيين، أو ربما لأن الجانب الغربي هو الذي تقع فيه بيوت الاغنياء فهي بحاجة الى حماية. (٣٢)

وذكر لنا ابن بشكوال في ترجمته لمحمد بن قاسم بن محمد الاموي (الجالطي) أنه تقلد أحكام الشرطة للخليفة هشام بن الحكم، وكان محموداً في عمله، وقتله البربر يوم دخولهم قرطبة عام ٤٠٣ هـ، (٣٣) وكذلك قتلوا صاحب الشرطة الآخر العالم عبدالله بن حسين (ابن الغربالي). (٣٤)

ومن ولي الشرطة في عهد الفتنة وذكرهم ابن بشكوال دون أن نستطيع تحديد وقت عملهم في هذه الخطة: محمد بن يونس (توفي عام ٤١٨ هـ) (٣٥)، ومحمد بن يحيى (ابن الحفارية) توفي عام ٤١١ هـ. (٣٦) واحمد بن الحسين، (٣٧) ومحمد بن محمد بن ابراهيم القبسي. (٣٨)

وفي عصر الطوائف . اتسمت خطة الشرطة بالاستقرار ، واعتمد كل امير من
ابناء الطوائف على صاحب شرطة ، واختاروه من البيوتات الاندلسية
البردة (٢١) . ففي مملكة غرناطة في عهد اسرة بني زيري شغل هذه الوظيفة بربر
صهاجة ، وايضاً اليهود . وفي قرطبة عهد أبو الوليد بن جهور الى الفقيه حسن بن
محمد بن ذكوان (توفي عام ٤٥١ هـ) أحكام الشرطة والسوق ثم رفع الى قاضي
الجمعة (٤١) . وتولى أيضاً في هذا العهد الفقيه عبدالرحمن بن مخلد أحكام الشرطة
والسوق حتى وفاته عام ٤٣٧ هـ (٤١) . وتولاها أيضاً في عهد الجهاورة مضافة الى
خطة السوق الوزير ابو بكر محمد بن الليث بن حريش ، والذي استمر يمارس هذه
الوظيفة في عهد الطوائف بعد سقوط امارة الجهاورة ، حيث نراه يمارس أعماله في
عام ٤٥٧ هـ وعرضت عليه مجموعة قضايا في مدينة قرطبة ، وعندما تختلف عليه
الامور يشاور الفقهاء والقضاة وغيرهم لحل الاشكال (٤٢) .

وفي مملكة بني عباد تولى أحكام الشرطة الفقيه محمد بن مكي (توفي عام
٤٧٤ هـ) وجمعت له مع السوق والاحباس وأمانة الجامع (٤٣) .

واصبحت الاندلس ولاية مرابطية ، وتؤودنا الروايات بأن عبدالرحمن بن محمد
بن احمد بن مخلد تولى الاحكام بقرطبة مدة طويلة وتوفي سنة ٥١٥ هـ (٤٤) . وإذا
أخذنا بنظر الاعتبار رسالة ابن عبدون (توفي عام ٥٢٠ هـ) في الحسبة ، وهو من
الذين خدموا في بلاط علي بن يوسف ، والتي تشير الى منع طوائف الحشم والعبيد
التابعين لولاة الامر من التلثم - وهو شعار المرابطين - وان لا يتلثم الا صنهاجي
أو لتوني أو لمطي ، فهذا يدل على مراقبة المرابطين لأحوال الرعية ، وربما كلف
بالامر صاحب الشرطة أو صاحب السوق (٤٥) .

وكان منصب صاحب الشرطة من المناصب الادارية المهمة في الدولة الموحدية ،
وتبدو أهميته خاصة عند اضطراب الامور ، وكان يشغل هذا المنصب رجال من
ذوي المكانة الرفيعة في الدولة ومن أكابر الوزراء .

ويبدو لنا من الرسالة التي وجهها عبد المؤمن بن علي عام ٥٤٣ هـ إلى الأعيان
والشيخوخة في الأندلس ، والتي تنحصر في خمسة أمور هي :

وجوب التزام الدقة في تطبيق الأحكام الشرعية ، ووجوب الكف عن أخذ أية
مغارم أو مكوس لاتباعها الشريعة ، ولا يجوز الحكم في مواد الحدود بالاعدام أو
تفميذه قبل الرجوع إلى الخليفة ، ويجب تحريم الخمر ومطاردتها في سائر أنحاء
الدولة ، ويجب حماية أموال الدولة وعدم التصرف بها بدون حق (٤٦) . يتبين لنا من
هذا كله الإشارة إلى بعض اختصاصات صاحب الشرطة والمدينة والسوق
وتحديدها ، على الرغم من عدم ورود اسمهم . وقد سار خلفاء الموحدين على هذا
النهج فيما بعد كما فعل الخليفة يوسف بإصدار رسالة مشابهة في عام ٥٦١ هـ موجهة
إلى أخيه وإلى قرطبة (٤٧) .

وفي مملكة غرناطة ، أعطيت صلاحيات واسعة للقاضي . وكان يعاونه في
تصريف القضايا الثانوية قاض مساعد يعرف بصاحب الأحكام ، ولعله هو صاحب
الشرطة (٤٨) . ويعاونه أيضاً صاحب السوق المسؤول عن أمور السوق بصورة عامة ،
كما أنه مسؤول عن تطبيق فروض الدين ، وملاحقة المنكرات (٤٩) . ومن أبرز رجال
الحسبة والشرطة في مملكة غرناطة القاضي أبو بكر محمد بن فتح الأنصاري الأشبيلي
(توفي عام ٦٩٨ هـ) (٥٠) . وكان صاحب الشرطة يعرف في مملكة غرناطة بأسم
متولي الشرطة ، وصاحب المدينة وصاحب الليل . وكان يساعده حراس يجوبون
الشوارع ويراقبون الطرقات ، وقد أطلق عليهم أسم الدرايين الذين كانوا يحملون
السلاح وتصحبهم الكلاب (٥١) .